

المحور الأول من سورة بني إسرائيل

القرآن يهدي للأقوم

قال تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (10) وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (11) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوُونا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12) وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا (13) أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14) مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَسُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (17) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21)

يتحدث هذا المقطع من السورة عن القرآن الكريم وكيف أنه الطريق للآخرة ، وفي المقابل تحدث عن حياة الترف عند بعض الناس ، وكيف أفسد هذا الترف معاشهم وكان سببا لهلاكهم ، وذلك عندما يستعجل الإنسان نصيبه من الدنيا ، فيصبح هذا الاستعجال شرا له ، لأن كل أمر قدره الله له سوف يناله دون حاجة للعجلة مثلما قدر الله له الليل والنهار بنظام محكم ودقيق ، كذلك الإنسان يعيش في ظرفي الليل والنهار حتى ينقضيان ، يتعاقبان عليه ، ولا يملك أن يطيل ليله أو يقصر نهاره ، ولا العكس ، فهو يعيش في ظروف كونية خلقها الله ، ولا يستطيع الفكاك من ذلك كما لا يستطيع الأسير أن يفك طوق عنقه ، فعليه ألا يشغل نفسه بهم الدنيا ، وعليه أن يسعى لعمل الآخرة ، لأنه محاسب على عمله ، بل سوف يدين نفسه حين يقرأ كتاب عمله .

فبالقرآن الذي هو رسالة الله للمكلفين، وبالرسول الذي هو المنهج التطبيقي للقرآن، تكتمل حجة الله على البشر ، ولا عذر لأحد ، وهنا يحق الله الحق فيهدم القرى الفاسقة ، وقيم القيامة ليحاسب كل واحد بما عمل.

فإذا قامت الحجة ، فعلام لا يبتغي المكلفون طريقا واحد لله تعالى ، فيقصرون همهم على هم واحد ألا وهو هم الآخرة ، وعندئذ يكفيهم الله هم الدنيا بما فيها ، فالدنيا هينة يسيرة يعطيها الله لمن أحب ومن لا يحب ، بينما الآخرة هي التي يجب أن يسعى إليها المؤمن سعيا حثيثا حتى ينال الدرجات العلى ، فمقياس المفاضلة بين البشر ليس منحصر أبدا في درجات الدنيا ، بل الآخرة هي أكبر درجات وأكبر تفضيلا .

المسألة الأولى : القرآن يقوم الحياة بوجه عام

قوله (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...) (9) فعن قتادة في هذه الآية قال (إن القرآن يدلکم على دائکم ودوائکم ، فأما داؤکم فالذنوب والخطايا ، وأما دواؤکم فالاستغفار)¹.

قال ابن عاشور والمعنى: (أنه يهدي للتي هي أقوم من هدى كتاب بني إسرائيل الذي في قوله: (وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ) [الإسراء:2] ، ففيه إيماء إلى ضمان سلامة أمة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوم ، لأن القرآن جاء بأسلوب من الإرشاد قويم ذي أفنان لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقول حائل ، ولا يغادر مسلكا إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها تحريضا أو تحذيرا ، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه اجتناء ثمار أفنائه ، وبتلك الأساليب التي لم تبلغها الكتب السابقة كانت الطريقة التي يهدي إلى سلوكها أقوم من الطرائق الأخرى وإن كانت الغاية المقصود الوصول إليها واحدة)².

قال الشنقيطي (وهذه الآية الكريمة أجمل الله جلَّ وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها)³

قال ابن تيمية (أَحْسَنَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ كِتَابَهُ بِقَوْلِهِ : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) فَأَقْوَمُ الطَّرِيقُ إِلَى أَشْرَفِ الْمَطَالِبِ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ)⁴.

ولفظ (أقوم) فيه شيء من الإبهام ، وفي ذلك غرض بلاغي بديع ، فالإبهام في القرآن لا يستعمل إلا لضرب من المبالغة ولتفخيم أمر المبهم وإعظامه لأنه هو الذي يطرق السمع أولاً فيذهب بالسامع كل مذهب ، فقوله أقوم (أي للطريقة أو الحالة أو الملة .. الخ)⁵.

قال الرافعي (وحسبه معجزة ما تقول فيه من صفة الجنسية العربية التي جعل الأمم أحجاراً في بنائها ، والدهر على تقادمه كأنه أحد أبنائها، وأقام منها معضلة سياسية ، في الأرض وضعها ونقدها، وفي السماء حلها وعقدتها، وشد بها المسلمين فهم إذا ائتلفوا انضموا كالبنیان المرصوص، وإذا تفرقوا سطعوا في تيجان الممالك كالفصوص، وما إن يزالوا في التاريخ مرة أصوله، ومرة فصوله، وإن لم يقوموا أحياناً بالدين، قام بهم هذا الدين إلى حين، وكيف وقد جمعهم الكتاب الذي أنزل من السماء فكان مثال آدابها، وانتشر في الأرض فكان خلعة شبابها، ودعا إليه الناس على اختلافهم فكانما كل أمة تدعى إلى كتابها)⁶.

فالرافعي في هذه الفقرة يريد أن يبين لنا أثر القرآن الكريم العظيم في إيجاد "الجنسية العربية" التي وحدت المسلمين وجعلت منهم أمة متماسكة كالبنیان، وخلدت ذكرهم في التاريخ ، فالقرآن جمع القرآن الكريم المسلمين برابطة روحية قوية؛ فإذا اتحدوا صاروا كالبنیان المرصوص، وإذا تفرقوا ظلوا عناصر بارزة ومهمة في الأمم كفصوص اللؤلؤ المتفرقة

1 (تفسير ابن أبي حاتم ج9 ص 145

2 (التحرير والتنوير ج14 ص 33

3 (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج3 ص 17

4 (مجموع الفتاوى ج9 ص 153

5 (أبو الفتح ضياء الدين نصر الله الموصلی المعروف بابن الأثير / المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج2 ص 26

6 (مصطفى صادق الرافعي : تاريخ الأدب العربي ص 160

في التيجان ، كما القرآن هو مصدر الآداب والسمو الذي جذب مختلف الأمم إليه ، فلا بقاء للأمم إلا بالدين ، والعزة والعلا مرتبطان بهذا الدين ، فإن قصر المسلمون في التمسك به قام الدعوة لهذا الدين بواجبها في إحيائهم وإبقائهم وأعادت ارتباطهم به .

قال السعدي (على الناس أن يتلقوا معني كلام الله كما تلقاه الصحابة . كانوا يعلمون أنه خطاب من عالم الغيب والشهادة موجه إليهم ، ومطالبون بمعرفة معانيه، والعمل بما يقتضيه رضي الله عنهم ، فكانوا إذا قرأوا عشر آيات أو أقل أو أكثر لم يتجاوزوها حتى يعرفوا ويحققوا ما دلت عليه من الإيمان والعلم والعمل، فينزلونها على الأحوال الواقعة يؤمنون بما احتوت عليه من العقائد والأخبار، وينقادون لأوامرها ونواهيها، ويبطقونها على جميع ما يشهدون من الحوادث والوفائع الموجودة بهم وبغيرهم، ويحاسبون أنفسهم: هل هم قائمون بما أو مخلون بحقوقها ومطلوبها؟ وكيف الطريق إلى الثبات على الأمور النافعة، وتدارك ما نقص منها؟ وكيف التخلص من الأمور الضارة؟ فيجتهدون بعلومه، ويتخلقون بأخلاقه وآدابه)⁷ .

قوله (...وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (9) أي مما يدل على تفضيل القرآن في القوامه للهداية عن سائر الكتب تبشيره المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالجنة ، فهي أكبر أجر ينتظرونه من الله ، فالذي يهتدي بهدي القرآن همه واحد لا يتغي سواه ، يرجو من كل أعماله الصالحة الأجر والثوبة من الله ، وخير أجر له في الدنيا أن يبشر برضوان الله .

فما من عمل صالح إلا ودل عليه القرآن ، وبشر بفضلله ، كما في قوله تعالى (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا يُخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَزِدُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (النور/38) ، ودلت السنة كذلك على أجر الأعمال الصالحة ، كما في قوله ﷺ (مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزْلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ)⁸ .

قوله (وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (10) فمن مظاهر هداية القرآن أنه ينذر بالآخرة ، ينذر بعذابها حتى يستعد الناس لذلك ، يقول رسول الله ﷺ (يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحَحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)⁹ .

المسألة الثانية : القرآن يقوم حياة المسلم معنويا بالرضا بالقدر وعدم العجلة

⁷ القواعد الحسان في تفسير القرآن ج1 ص 3 مع إعادة ترتيب الكلام

⁸ رواه البخاري ج3 ص 54 رقم 622

⁹ رواه البخاري ج4 ص 159 رقم 986

قوله (وَيَذُغُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) (11) فمن مظاهر هداية القرآن أنه يُعَلِّم الإنسان الرضا بالقضاء والقدر ، فعلى المكلف ألا يتعجل الخير ، فالعجلة من الشيطان ، وبسبب العجلة قد لا يرى الصواب أحيانا ، فيظن أن في حرمان الله له شر ، ولكنه خير وهو لا يعلم ، لأنه عجول .

ففي حكم ابن عطاء الله السكندري “ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك ” ، أي ربنا تكون العطية سبب وبال عليك ، وربنا يكون المنع من العطية سبب خير لك ، يقول ابن عطاء الله “متى فتح لك باب الفهم في المنع، عاد المنع عين العطاء ، أي (إذا أتاك اليقين وعرفت حكمة الله ولطفه، فلن تحزن على ما فاتك ولن تغتر بما أُعطيت ، ستدرك أن اختيار الله لك في الحالتين هو الأفضل، ليتحرر قلبك من القلق وتمازج الطمأنينة والرضا ، وقال (متى أطاعك أشهدك برّه، ومتى منعك أشهدك قهره، فهو في كل ذلك متعرّف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك ” أفلا يكفيك فخراً أنّ ربّك لم يعاملك بذنوبك وعاملك بفضله فمنعك لتصحو من سكرة الغفلة وهزّك لتعود إليه ولتعرفه في الشدّة كما في الرخاء؟! أولا يكفيك أنه لم يتركك عابثاً دون اشارات منه تدعوك للإياب؟!¹⁰

قال بعض السلف: يا بن آدم، نعمة الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تُحب، قال تعالى : ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216)، وقال آخر: ارض عن الله في جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك.

قال ابن القيم (لا مانع لما أعطى الله، ولا مُعطى لما منع، ولا يمنع عبده حقاً هو للعبد، فيكون بمنعه ظالماً له، بل إنما منعه ليتوسّل إليه بمحبّته ليعبّده، وليتضرّع إليه، ويتذلّل بين يديه، ويتملّقه، ويُعطى فقره إليه حقّه، بحيث يشهد في كل ذرّة من ذرّاته الباطنة والظاهرة فاقة تامةً إليه على تعائب الأنفاس، وهذا هو الواقع في نفس الأمر، وإن لم يشهده العبد فلم يمنع الربُّ عبده ما العبد محتاج إليه بخلاً منه، ولا نقصاً من خزائنه، ولا استثناءً عليه بما هو حقٌّ للعبد، بل منعه ليردّه إليه، وليعزّه بالتذلّل له، وليغنيه بالافتقار إليه، وليجبرّه بالانكسار بين يديه، وليديقه بمرارة المنع حلاوة الخضوع له، ولذّة الفقر إليه، وليلبسه خلعة العبودية، ويولّيه بعز له أشرف الولايات، وليشّهدّه حكمته في قدرته، ورحمته في عزته، وبرّه ولطفه في قهره، وأنّ منعه عطاءً، وعزله تولية، وعقوبته تأديب، وامتحنانه محبةً وعطية، وتسليط أعدائه عليه سائق يسوقه به إليه)¹¹.

وهناك معنى آخر للدعاء بالشر قال ابن جزري المعنى ذم وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب ، وذلك مثل الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، ففي الحديث لعن رجل بعيره فقال رسول الله ﷺ مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرُهُ قَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ انْزِلْ عَنْهُ فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تُؤَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ)¹².

¹⁰ (صيد الفوائد : المنع عين العطاء : سحر المصري ، <http://www.saaaid.net/daeyat/sahar/99.htm>)

¹¹ (زاد المعاد في هدي خير العباد ج2 ص 360)

¹² (رواه مسلم ج14 ص 295 رقم 5328)

وأحيانا يحصل ذلك منهم حين الابتلاء بمصيبة فيدعو الإنسان على نفسه جهلا ، ولذلك حذر النبي ﷺ من الدعاء علي النفس عند وفاة محبوب ، فعن أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَعْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ ، فَضَحَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَقَالَ ﷺ لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاحْلُقْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْعَابِرِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ¹³.

وفي قوله (..وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) (11) قال الشيخ الجزائري أي (كثير العجلة يستعجل في الأمور كلها هذا طبعه ما لم يتأدب بآداب القرآن ويتخلق بأخلاقه فإن هو استقام على منهج القرآن تبدل طبعه وأصبح ذا تورة وحلم وصبر وأناة)¹⁴.

يقول الشعراوي (قد يتعلق قلب الإنسان بأمانتي تضره؛ فلا تتعجل بالدعاء طلباً لأمنيات قد تكون شراً عليك ، والحق عليهم بحالها ويدبر أمرنا ، وإياك أن تياس حين لا تحاب دعوتك ؛ لأن الله يحقق الخير لعباده وفي الوقت الذي يختاره لك ويناسبك)¹⁵.

فعلى سبيل المثال " نبي الله أيوب حينما بَثَّ شكواه إلى ربه، لم يكن شاكياً سخطاً، بل كان مستشفياً متضرعاً؛ فجاءت مناجاته بـ (أَيُّ مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) فترجمت عباراته ما فيه من لوعة الألم ، بأبلغ كلمات الرجاء والدعاء بالشفاء ، فجاءه الفرج (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) (الأنبياء/83-84) .

فلو علم هذا النبي ما أعطاه الله من أجر في الآخرة علي ما صبر من بلاء حتى شفاه الله تعالى ، فلعله حين يعلم ذلك الأجر لتمنى أن يطول مرضه ، ولكنه عالج الأمر بالدعاء ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْصَتٍ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِضِ¹⁶، وقس على ذلك سائر الأمور ، وعلى ذلك يمكن القول بأن عجلة الإنسان لم يستثن منها أحد .

قوله (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحْوُناً آيَةً اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَبَتَّعُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) (12) الليل والنهار كناية عن دوران الزمان ،ومرور الأيام والسنين حتى يأتي الأجل ، وكناية عن قضاء الله النافذ خلال عمر الإنسان ، فقد ضرب الله مثلا بالليل والنهار ليفهم المكلف أن قضاء الله وقدره بحكمة ، ومهما بلغ الإنسان من العلم فإنه لن يدرك الحكمة الكاملة ، وإن ظل طويلا يتأمل آيتي الليل والنهار ، فإن جاز أن يدرك طرفا منها ، وشيئا من حكمتها التي تتمثل في جعل الليل سكنا والنهار معاشا ، بالسعي لطلب الرزق ، وقد أدرك بعلمه أن الله جعل تعاقب الليل والنهار آلة لحساب الأيام والشهور والسنوات ، فإن كل ذلك طرفا يسيرا من حكمة الله في خلق الليل والنهار .

¹³ (رواه مسلم ج4 ص 480 رقم 1528)
(أسير التفاسير لأبو بكر الجزائري ج2 ص 336)¹⁴

¹⁵ (تفسير الشعراوي ج1 ص 2905)

¹⁶ (رواه الترمذي ج8 ص 422 رقم 2326 وصححه الألباني : صحيح وضعيف سنن الترمذي ج5 ص 402)

قال ابن عاشور (الأجل محدود في علم الله تعالى لا يحدوه، فلا يقربه استعجال ولا يؤخره استبطاء لأن الله قد جعل لكل شيء قدراً لا إهمام فيه ولا شك عنده)¹⁷، لكن الإنسان عجول ، فبالرغم من أنه يتفكر في هذه الآية لكنه عندما يطول عليه النهار قد يتمنى أن يقصر ، وعندما يقصر عليه النهار قد يتمنى أن يطول ، فهو لا يعلم ما هو الأقوم له ، فقد يدعو الله بشيء فيجد ضده ، والمطلوب الشرعي منه أن يكمل الأمر كله لله تعالى ، فهو خالق كل شيء وكل شيء فصله الله تفصيلاً وقدره تقديراً .

قال أبو حفص (ما يحتاج إليه من شرح دلائل التوحيد ، والثبوت ، والمعاد ، فقد صار مذكوراً وأن كل ما يحتاج إليه من شرح أحوال الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، فقد صار مذكوراً ، وإذا كان الأمر كذلك ، فقد أزيلت الأعذار ، وأزيلت العلل ، فلا جرم : كل من ورد عرصة القيامة ، ألزمناه طائره في عنقه)¹⁸

قوله (وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) (13) طائره أي قدره ، فهو ملازمه كعنقه أي أن عمله سوف يطابق قدره لا يختلف عنه ، قال ابن عباس أي : "سعادته وشقاوته، وما قدره الله له وعليه، فهو لازمه أينما كان"¹⁹، فالمعنى أن كل إنسان مرتبط عمله بقدره ، فهو كالطوق في عنقه لا يملك منه خلاصاً ولا فكاً ، يلزمه حتى الجزاء ، يقول أبو الفضائل أي (عمله وما قدر عليه من الخير والشر يلزمه ولا يفارقه)²⁰



فعن جابر بن عبد الله أن نبي الله ﷺ قال "لا عدوى ولا طيرة وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه"²¹، قال أهل المعاني (أراد بالطائر ما قضى عليه أنه عامله وهو صائر إليه من سعادة أو شقاوة وخص العنق لأنه موضع القلادة والأطواق قلت وهو كناية عن الذمة فكأن هذه الأشياء في ذمته أن يفعلها ولا يقدر أن ينفك عنها)²²

قال الألوسي «ألزمناه طائره» أي عمله الصادر منه باختياره حسبما قدر له خيراً كان أو شراً ، كأنه طار إليه من عيش الغيب ووكر القدر)²³، فهذا تشبيه بليغ بأن القدر محيط بالإنسان من جميع جوانبه مثل طوق العبودية يقيد العبد فلا يستطيع أن يتحرر منه ، فالإنسان عبد لله ، والله سبحانه هو الذي يقدر له عمله والظروف التي يعيش فيها ، ليستسلم العبد لقضاء الله وقدره دون اعتراض .

17 (التحرير والتنوير ج14 ص 37

18 (اللباب في علوم الكتاب ج10 ص 250

19 (تفسير ابن أبي حاتم ج9 ص 146

20 (أحمد بن محمد الرازي : حجج القرآن ج1 ص 26

21 (رواه الطبري في تفسيره ج17 ص 397 ، وصححه الألباني : السلسلة الصحيحة المجلدات ج4 ص 304 رقم 1907 وهو عند أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة

وغيرهم

22 (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج1 ص 352

23 (تفسير الألوسي : ج10 - ص 391 روح المعاني ج15 ص 31

فَعَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ قَالَ (وَلَوْ أَنْفَقْتُ مِثْلَ أُخْدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مِثْلَ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلَتْ النَّارُ)²⁴ ، بهذا تستبين عقيدة القضاء والقدر ، فلس للناس إلا ما كتب لهم أو عليهم .

يقول ابن جرير (يقول تعالى ذكره: وكلّ إنسان ألزمناه ما قضى له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه، وإنما قوله (الزّمناء طائره) مثل لما كانت العرب تتفاعل به أو تتشائم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم جلّ ثناؤه أن كلّ إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه نحسا كان ذلك الذي ألزمه من الطائر، وشقاء يورده سعيرا أو كان سعدا يورده جنات عدن)²⁵.

فالمعنى المراد سوقه أنه إذا أراد الإنسان أن يتكهن بمستقبله فعليه أن يحسن الظن بالله ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يُحِبُّ الْقَالَ الْحَسَنَ وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ)²⁶ ، وعن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ اللَّهُ (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)²⁷ ، وعن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ قَالَ اللَّهُ (إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ)²⁸.

قوله (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا) (14) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ)²⁹ ، ففي الأثر (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَتَزَيَّنُّوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخْفُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا)³⁰ ، وقيل (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل)³¹.

وقوله (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) بليغ في الدلالة على أن الله لا يظلم أحدا ، ففي الأثر (لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم)³²

وفيه أن العبد يحكم على نفسه يوم القيامة بما يستحق قبل أن يحكم الله عليه ، قال ابن الجوزي (ما أعدل الملك الوهاب إذ جعل الإنسان حسيب نفسه في قراءة الكتاب)³³.

قوله (مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (15) هذه الآية توضح أن المسؤولية فردية ، وليست جماعية ، فبني إسرائيل لم يضلوا لأنهم ينتمون إلى تلك الطائفة ، وإنما لأنهم ضلوا كأفراد ، دون أن يحمل أحدهم وزر أخيه أو أبيه .

24 (رواه أبو داود ج12 ص 308 رقم 4077 وصححه الألباني صحيح ابن ماجه ج1 ص 19 رقم 62

25 (تفسير الطبري ج17 ص 397

26 (رواه أحمد ج14 ص 122 رقم 8393

27 (رواه البخاري ج23 ص 24 رقم 6951

28 (رواه البخاري ج23 ص 23 رقم 6950

29 (رواه الترمذي ج8 ص 443 رقم 2341 وصححه الألباني : صحيح الترمذي ج5 ص 417 رقم 2417

30 (مسند الصحابة في الكتب التسعة ج46 ص 176 ، سنن الترمذي ج8 ص 499

31 (رواه الحاكم ج4 ص 280 رقم 7639

32 (رواه أبو داود مرفوعا ج12 ص 308 رقم 4077 وصححه الألباني : صحيح سنن أبي داود ج10 ص 199 رقم 4699

33 (يستأن الواعظين ورياض السامعين ج1 ص 97

قال ابن عاشور (هذه الجملة بيان أو بدل اشتمال من جملة (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) مع توابعها ، وفيه تبيين اختلاف الطائر بين نافع وضار ، فطائر الهداية نفع لصاحبه وطائر الضلال ضر لصاحبه ، وجملة (ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) واقعة موقع التعليل لمضمون جملة (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا)³⁴.

وفي ذلك إيماء إلى أن بني إسرائيل لا يحملون أوزار آبائهم ، ومن هذا المنطلق يجب أن ينتبهوا إلى أنفسهم ، ليحملوها على الإيمان دون تقليد لما بدر من آبائهم من كفر ، فكل امرئ منهم حسيب نفسه ، وكل نفس بما كسبت رهينة .

قوله (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا) (15) هذه الآية حجة على من زعموا أن الإنسان مجبول على المعصية ، ومؤدى قولهم هذا أن العذاب غير مستحق على المجرم ، ولكن الله تعالى نفى -هنا- أنه لا يعذب عباده إلا بعد أن يرسل لهم رسولا يبلغهم رسالة ربه وينذرهم عذابه ، فإن هم أطاعوه فقد نجوا ، وإن عصوه فقد حق عليهم العذاب عدلا .

وكذلك قال الله (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة : 286] ، قال العلماء هاتان الآيتان تدلان على أن حصول التكليف يكون بالقدرة والعلم معاً ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (فمن استقرأ ما جاء به الكتاب والسنة تبين له أن التكليف مشروط بالقدرة على العلم والعمل ، فمن كان عاجزاً عن أحدهما سقط عنه ما يعجزه ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها)³⁵.

المسألة الثالثة : القرآن يقوم الحياة المادية للإنسان

قوله (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا كَمَا نَدْمِيرُ) (16) بينت هذه الآية سبب هلاك الأمم ، وأنها تهلك بسبب ترف أمرائها ، حيث يؤدي ترفهم في العيش - دون أن ينكر عليهم أحد - إلى الفسق ولا بد ، وليس المقصود بالترف - في هذا السياق - الذي به يشكر صاحب النعمة ربه ، كما شكر نبي الله سليمان نعمة ربه لما سخر له الجن ، فاستخدمه للعمل العام ، والخدمة العامة ، ولم يستخدمهم لخدمته الشخصية ومنفعته الذاتية ، وإنما المقصود أن يكون الترف مبتغى المرء وهدفه ويسعى لأجل تحقيقه ، فالمشروع هو القصد والاعتدال ، لا الترف ولا التقتير ، فقد وصف القرآن عباد الرحمن (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) (الفرقان) .

فالإسلام يحض على الاعتدال ، أي التوسط بين الترف الذي يكاد يقترب من معنى السرف ، والتقتير الذي هو البخل والشح أو منع الحقوق لأهلها حتى حق نفسه ، فيكلف العبد أن يأخذ قسطه من النوم كما يأمره

بالاستيقاظ من نومه لصلاة الفجر ويحثه على قيام الليل ، ويأمره بالصوم ، كما يأمره بالأكل والإفطار ، ويأمره بالعفة ويندبه للزواج ويحب له زوجته ، .. وهكذا دون مجاوزة إلى حد الإسراف في أي مما تقدم .

ومن جهة أخرى يمكن القول بأن (الشراء لا يستلزم الترف دائما ولا غالبا ، فالذين جمعوا ثرواتهم بجدهم وكدهم وعرق جبينهم فإنهم لا يعرفون الترف الرخو ولا يطبقونه ولا يعتمدون على غيرهم في تسيير أعمالهم بل يباشرون العمل بأنفسهم ويجدون في ذلك سعادتهم ، **فهؤلاء منتجون مصلحون** لأن العمل قيمة مضافة مهما كسب كصاحبه من ثروة بالطرق الشريفة)³⁶

ولذلك تجد الذين يمارسون الرياضة ويرعون فيها لديهم طاقات عظيمة لفعل أمور أخرى غير الرياضة ، ويفضلها يصلحون حياتهم وحياة غيرهم ولا يجدون غضاضة في بذل مجهود زائد من المشي لأجل مصالح الناس أو رفع محتويات البيت أو توصيل أولادهم للمدرسة بأنفسهم ويجدون لذة في ذلك الخ .

كذلك الذين يعرفون في العمل ، ويستشعرون لذة ذلك ، فإنهم لا يتوقفون عن العمل حتى لو كسبوا مالا كثيرا ، فقد تعودوا على العمل وأحسوا بحلاوة الحركة ، فليس المال هو الدافع لحركتهم وحسب ... وهكذا نفهم التفرقة بين الشراء والترف .

أما المترف فهو الذي لديه طاقات وقدرات عظيمة لكنه لا يبذل شيئا من طاقته ، ويدخر قدرته بلا فائدة ، ولذلك حذرنا النبي ﷺ من الترف ، وقد أكد القرآن على أنه سبب لهلاك الأمة فقال ﷺ «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»³⁷

وقد أشار ابن خلدون لهذا المعنى ، بأن المترفين يسرفون في نفقاتهم ويندفعون مع شهواتهم ويترفعون عن مباشرة أعمالهم فيعتمدون على غيرهم ، فتفسد أخلاقهم فردًا فردًا وتمتد أيديهم إلى المال الحرام بكل الوسائل المتاحة لاشباع ترفهم ونهمهم إلى الشهوات التي تعودوا عليه ، ويزيد الطين بلة أنهم يستخدمون قطاعا كبيرا من الشعب لخدمتهم ، فتفسد هم كذلك أخلاقهم لإشرافهم على أعمالهم فيفسدون في انفسهم وأولادهم ، فقال مينا سبب غلاء الأسعار (كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم إلى امتهان غيرهم، وإلى استعمال الصناعات في مهنتهم، فيبذلون في ذلك لأهل الأعمال أكثر من قيمة أعمالهم مزاحمة ومنافسة في الاستئثار بها، فيعتز العمال والصناع وأهل الحرف، وتغلو أعمالهم، وتكثر نفقات أهل المصير في ذلك)³⁸.

وقال في مقدمته (الناس بشر متماثلون، وإنما تفاضلوا وتمايزوا بالخلق واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل ، فمن استحكمت فيه صبغة الرذيلة بأي وجه كان، وفسد خلق الخير فيه ، لم ينفعه زكاء نسبه ولا طيب منبته ، ولهذا تجد كثيرا من أعقاب البيوت وذوي الأحساب والأصالة وأهل الدول، منطرحين في الغمار، منتحلين للحرف الدنية في معاشهم

(36) عبد الله الجعيثي : الترف يختلف عن الثراء - مجلة العربية و مجلة الرياض : /2016/05/13/ <https://www.alarabiya.net/aswaq>
(37) رواه مسلم 2274/4
(38) مقدمة ابن خلدون ج1 ص 204

بما فسد من أخلاقهم ، وما تلونوا به من صبغة الشر والسفسفة ، وإذا كثر ذلك في المدينة أو الأمة تأذن الله بخرابها وانقراضها، وهو معنى قوله تعالى: " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها، ففسقوا فيها، فحق عليها القول، فدمرناها تدميراً " ووجهه أن مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم، لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها، فلا تستقيم أحوالهم. وإذا فسدت أحوال الأشخاص، واحداً واحداً، اختل نظام المدينة وخربت³⁹

ولأجل ما تقدم ، ولأن دوام الحال من المحال ، فقد حث الإسلام على التقشف باعتباره من صفات كمال الإيمان ، يقول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (الْبَذَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ) قَالَ (الْبَذَاذَةُ الْقَشَافَةُ يَغْنِي التَّقَشُّفُ)⁴⁰ ، فمن الحكم المعروفة (اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم) ، والمعنى المقصود طلب التعود على الخشن من الحياة والبعد عن الترف ، وذلك حتى إذا أصاب الإنسان يوما فاقة تحمل ذلك ولم يكن ضعفه سببا في عدم الرضا عن القضاء والقدر ، فيكون الصبر أسهل عليه في البلاء والمرض والفقر... الخ ، من هنا نفهم أن التقشف هو عادة الصالحين استعدادا للبلاء القادم عليهم بقدر إيمانهم ، حيث يتلى المرء على قدر دينه ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ أُودِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَمَا لِي وَلِلَّالِ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ دُو كَيْدٍ إِلَّا مَا وَارَى إِبْطُ بِلَالٍ)⁴¹.

والصحابه رضوان الله عليهم فهموا البشرى في التقشف وذم الترف ، فعن عبد الله بن عمرو قال : بينا أنا قاعد في المسجد وحلقة من فقراء المهاجرين فعود إذ دخل النبي ﷺ فقعد إليهم فقامت إليهم فقال النبي ﷺ لهم ليبشر فقراء المهاجرين بما يسر وجوههم فإنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاما قال فلقد رأيت ألوأهم أسفرت قال عبد الله بن عمرو حتى تمتيت ان أكون معهم أو منهم)⁴²، وفي رواية عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ اشْتَكَيْ فَقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ أَغْنِيَاءَهُمْ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ أَلَا أُبَشِّرُكُمْ أَنَّ فَقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ ثُمَّ تَلَا مُوسَى هَذِهِ آيَةُ (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)⁴³

بذلك حض الإسلام المؤمن على أن يتخفف من الدنيا ، وليعطي غيره منها قبل أن يزداد بها عن فضل حاجته ، فيتأخر حسابه لأجل ذلك ، فإن كل ما زاد عن فضل حاجته هو من الترف ، وقد روي عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ (مَنْ تَرَكَ اللَّيَّاسَ تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخْرِجَهُ مِنْ أَيْ حُلِّلِ الْإِيمَانَ شَاءَ يَلْبَسُهَا)⁴⁴ .

من ذلك نفهم منهج الإسلام وهو يحدد للمسلم طريقته في الاقتيات من الدنيا ، ليكون ذلك بقدر حاجته دون تباهي أو تعالي على الناس ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ (لَا يُصِيبُ أَحَدٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا نَقْصٌ مِنْ دَرَجَاتِهِ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ كَرِيمًا)⁴⁵ .

39) مقدمة ابن خلدون ج 1 ص 209

40)رواه ابن ماجه ج 12 ص 143 رقم 4108، وصححه الالباني : صحيح ابن ماجه ج 2 ص 395 رقم 3324

41) رواه ابن ماجه ج 1 ص 174 رقم 148 وصححه الالباني : صحيح ابن ماجه ج 1 ص 30 رقم 123

42) رواه الدارمي في سننه ج 2 ص 437 رقم 2844 و "النسائي" في "الكبرى" 5846 و "ابن جبان" 677

43) رواه ابن ماجه ج 12 ص 151 رقم 4114 وصححه الالباني : صحيح الجامع الصغير ج 1 ص 1394 رقم 13936

44) رواه الترمذي ج 9 ص 21 رقم 2405 / صححه الالباني : صحيح وضعيف سنن الترمذي ج 5 ص 481 رقم 2481

45) مصنف ابن أبي شيبة ج 13 ص 323

فإذا كان ذلك كذلك وقد علمنا أن ما يفتح الله تعالى به على العبد من الدنيا يؤثر بلا شك في نصيبه من الآخرة علمنا من أين يأتي التشاؤم ؟ وأين مكنن الحذر ؟ ولماذا سمي الله تعالى الأزواج أعداء في القرآن ، فقال إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ، يقول النبي ﷺ (لَا عَدَوَى وَلَا طِيَرَةَ إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْفَرَسِ وَالْمَرْأَةِ وَالْدَّارِ)⁴⁶ ، لأن هذه الثلاثة من متاع الدنيا وأشد مطالبها ، وأقواها أسرا للقلب ، وحبها يؤثر بلا شك على عمل الآخرة ، ولذلك قال الله لا تنس نصيبك من الدنيا ، أي أن هذه الثلاثة لا بد وألا تكون مبتغى العبد وغايته وإنما يكفي أن تكون بقدر حاجته للعيش دون إهمال العبادة التي هي الغاية التي خلق من أجلها ، ولذلك روي عن إبراهيم التيمي قَالَ الْبِنَاءُ كُلُّهُ وَبَالَ قُلْتُ أَرَأَيْتَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ قَالَ لَا أَجْرَ وَلَا وَزَرَ.

ولذلك أمرنا النبي ﷺ بأن نأكل دون حد الشبع ، فقال مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسْبُ الْآدَمِيِّ لَقِيمَاتٌ يَقْمَنُ صُلْبُهُ فَإِنْ غَلَبَتْ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ فَتُلْتِ لِلطَّعَامِ وَتُلْتِ لِلشَّرَابِ وَتُلْتِ لِلنَّفْسِ)⁴⁷ ، وما شبع النبي ﷺ يوم إلا وتلاه اليوم الآخر دون أن يشبع ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزٍ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ)⁴⁸ ، ذلك أن حد الشبع يعني الاقتراب من الترف ، وهذا يعني أن المسلم لا ينظر لحال غيره من الجائعين ، ولو أنه نظر لحالهم لحمله إيمانه على أن يشبعهم قبل أن يشبع نفسه ، لقول النبي ﷺ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولذلك ذم النبي ﷺ الشبع فعن ابن عمر قَالَ تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ كُفِّ عَنَّا جُشَاءَكَ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)⁴⁹.

ولكي نفهم حد الترف الذي ذمه القرآن لا بد وأن نستقري حياة النبي ﷺ وأصحابه ، وعن عائشة قَالَتْ (إِنْ كُنَّا يَتَوَلَّى مُحَمَّدٌ مُمْكُثٌ شَهْرًا مَا نَسْتَوْفِدُ بِنَارٍ إِنْ هُوَ إِلَّا الْمَاءُ وَالتَّمْرُ)⁵⁰ ، وعن عائشة قَالَتْ (كَانَ إِسَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي يَتَكَبَّرُ عَلَيْهَا مِنْ أَدَمٍ حَشْوَهَا لَيْفٌ)⁵¹ ، ولعل ذلك لأنه شغل بالدعوة عن الكسب والعمل ، وشغل بالإفراق عن الادخار والاحتناز ، وشغل بالطاعة وقيام الليل عن السعي وراء سعة من الرزق ، فاكتمى بالكفاف ، ولذلك يقول النبي ﷺ (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرَزَقَ كَفَافًا وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ)⁵² ، وعن عبد الله بن الزبير بن العوام عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ "ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ" قَالَ الزُّبَيْرُ وَأَيُّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ عَنْهُ وَإِنَّمَا هُوَ الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ قَالَ أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ)⁵³.

وقد ورد في بعض كتب الآثار⁵⁴ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى في يد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما درهما ، فلما علم أنه يريد شراء لحم لأهله لأنهم اشتبهوه ، ترك لمن يأتي بعده قولته البليغة : أَكَلِمَا اشْتَهَيْتُمَا

⁴⁶ (رواه البخاري ج 18 ص 68 رقم 5329)

⁴⁷ (رواه ابن ماجه ج 10 ص 105 رقم 3340 وصححه الألباني ج 10 ص 105 رقم 3340)

⁴⁸ (متفق عليه)

⁴⁹ (رواه الترمذي ج 9 ص 18 رقم 2402 وصححه الألباني : صحيح وضعيف سنن الترمذي ج 5 ص 478)

⁵⁰ (رواه الترمذي ج 9 ص 11 رقم 2395)

⁵¹ (رواه مسلم ج 10 ص 442 رقم 3882)

⁵² (رواه مسلم ج 5 ص 276 رقم 1746)

⁵³ (رواه ابن ماجه ج 12 ص 191 رقم 4148 وصححه الألباني : صحيح ابن ماجه ج 2 ص 402 رقم 3354)

⁵⁴ (رواه الحاكم ومالك عن يحيى بن سعيد)

اشتريتهم ؟ ما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لابن عمه وجاره ؟ أين تذهب عنكم هذه الآية : " أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا و استمتعتم بها " ⁵⁵ (الأخفاف/ 19) ⁵⁶

قال الشيخ سليمان العمري (هذه الحادثة تحيل على ما هو أعمق من مجرد الدعوة إلى ترشيد الاستهلاك ، إذ هي في حقيقتها استحضر للبعد الإنساني في الإنفاق حتى لو تعلق الأمر بقطعة لحم ! وموقف عمر رضي الله عنه إنما هو امتداد للهدى النبوي الشريف في تحيه عن السرف ومجاوزة الحد في التمتع " .
وفي المقابل نجد الأمة اليوم تعيش ما يصفه جان ماري بيلت بـ " دُوار الاستهلاك " ⁵⁷ ، تلك الرغبة المحمومة في الامتلاك والاستمتاع والحصول على كل شيء ، بذلك تحول المجتمع إلى أسواق رائجة لبضائع غريبة ، والزج به في نسق حضاري يقوم على الأنانية والمنفعة المادية وشهوة التملك! ⁵⁸ .

لكن الزهد في الدنيا لا يعني الامتناع عن أكل اللحم أو التمتع بالنساء وخيرات الدنيا ، بل يكون ذلك بحسب الحاجة ، لأن الله جعل الخيرية في المؤمن القوي عن المؤمن الضعيف ، فإذا كان المؤمن بحاجة للحم ليحمي ثغور الإسلام ، فلا شك أن حاجته الزائدة للحم عن غيره عبادة من هذا الوجه ، وقس على هذا سائر الأمور .

قوله (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ) (17) كم للكثرة ، فبعد الطوفان كان الناس مؤمنين ، فكون أنهم هالكون يعني أنهم بدلوا دينهم ، واستحقوا الهلاك لتحقق أسبابه فيهم ، يعني انشغلوا بترف الحياة ، ولم يستخششوا لنشر الدعوة والحركة بها والجهاد في سبيل الله .

يقول سيد قطب (الآية تقرر سنة الله ، فإذا قُدِّرَ لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك ، فكثرت فيها المترفون ، فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم ، سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها ، فعم فيها الفسق ، فتحللت وترهلت ، فحققت عليها سنة الله ، وأصابها الدمار والهلاك . وهي المسؤولة عما يحل بها لأنها لم تضرب على أيدي المترفين ، ولم تصلح من نظامها الذي يسمح بوجود المترفين) .

قوله (...وَكَفَىٰ بِرِّكَ بِذُنُوبٍ عِمَادٍ خَبِيرًا بَصِيرًا) (17) يعني أن الله تعالى عالم بذنوبهم قادر على أخذهم ومجازاتهم ، (ففيه تهديد لهذه الأمة لكي يطيعوا الله ولا يعصوه فيصيبهم مثل ما أصابهم) ⁵⁹ .

كذلك لا بد وأن يعلم المكلفون أن العباد ليسوا موكولون —في مقام الدعوة— لحساب الناس على ذنوبهم ، وليسوا مسلطون لعذابهم وإهلاكهم —في هذا المقام—، فهم أداة للدعوة والبلاغ وحسب ⁶⁰ ، والله وحده هو الذي يعذب من يشاء ويهلك من يشاء ، وهو وحده الذي يعلم ذنوبهم علانيتهم وسرهم ، كبيرها وصغيرها ، ويجازي علي

55 (رواه البيهقي في شعب الإيمان و الطبراني في الأوسط و الكبير

56 (ذكره المنذري في الترغيب و الترهيب

57 (عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة ، لجان ماري بيلت ص 32 ترجمة السيد محمد عثمان ، عالم المعرفة

58 (الشيخ ناصر بن سليمان العمر حلقات وليدروا آياته : تدبر سورة الفرقة الاثنتين 4 محرم 1444 هـ <https://almoslim.net/node/166668>

59 (أبو الليث السمرقندي : بحر العلوم ج2 ص 305

60 (قريب من هذا المعنى أقوال العديد من المفسرين منهم السعدي ج 1 ص 585

ذلك أو يغفر لصاحب الذنب بما علم منه ، فعن النبي ﷺ قال (بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَعَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَتَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَعُفِرَ لَهَا بِهِ)⁶¹.

ويترتب على ذلك كذلك أنه يجب على العبد ألا يلجأ لأحد إلا الله تعالى ليغفر له الذنب ، فهو وحده الخبير والبصير به ، وكلنا هذا العبد ، نفتقر إلى الله ونتضرع إليه ، ونسأله العفو والمغفرة ، ونعوذ به من عذابه .

قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا) (18) ذلك أن الدنيا لم تكن يوما مراد من كانت الآخرة همه ، فهما لا يجمعان ، يقول النبي ﷺ "من أحب دنياه أضر بآخِرته ومن أحب آخِرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى"⁶²، وفي رواية (فأضروا بالفاني للباقي)⁶³

وليس معنى ذلك أن العبد مطالب شرعا برفض النعمة ، بل على العكس من ذلك ، فالإسلام يحض على شكر النعمة ، بأن يؤدي حق الله فيها ، وذلك باستعمال النعمة فيها جعلها الله لها ، أما السعي وراء الدنيا وطلبها لذاتها هذا هو محل الذم ، ولذلك توضح الآيات كنه المسألة ، وأن الإشكالية تكمن في تمني العاجلة أي (الخير في الدنيا) ، فإنه بهذا التمني يقع في سلسلة أمان لا تنتهي إلا بأن يبيع الآخرة ليشتري الدنيا .

ووصف الله مريد الدنيا بأنه يصير إلى جهنم مذموما مدحورا ، وهذا الوصف يبين مدى الوحشة التي يستشعرها طالب الدنيا وهو في الآخرة وقد انقطع عنه كل نعيم وصار حاله من الترف إلي أن أضحي مذموما مطرودا من رحمة الله ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ)⁶⁴

قوله (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) (19) أي أن العكس كذلك صحيح ، فمن يشغل بتمني ما عند الله تعالى في الآخرة ، يكفيه الله هموم الدنيا برمتها ، قال رسول الله ﷺ (مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ)⁶⁵.

يقول الدكتور مهران : (تأمل قوله "وسعى لها سعيها" ولم يقل : "سعيه" ؛ ليعلمنا ربنا أن للآخرة سعيًا معينًا لا يقبل الله ما سواه، وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ)⁶⁶ ، وقد انعكس هذا المعنى على السلف الصالح ، فلا تجد أحدهم يختلف رداؤه عن رداء خادمه ، حيث فتح الله عليهم بالفهم العميق معنى الدنيا والآخرة ، وبذلك الفهم علم كل منهم مراده ، وسعى بعمله له وهو مؤمن بالثواب من عند الله

(61) رواه البخاري ج 11 ص 286 رقم 3208

(62) رواه ابن حبان ج 2 ص 486 رقم 709 وصححه الألباني لغيره : صحيح الترغيب والترهيب ج 3 ص 144 رقم 3247

(63) رواه البيهقي في شعب الإيمان ج 7 ص 376 رقم 10643

(64) رواه مسلم ج 13 ص 411 رقم 5021

(65) رواه ابن ماجه ج 1 ص 299 رقم 253 صححه الألباني : صحيح ابن ماجه ج 1 ص 48 رقم 207 ، 393/2

(66) د مهران ماهر عثمان : الشرح البسيط على مقدمة أصول التفسير ص 81

فعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : خرجت مع أبي وأنا غلام شاب فلقينا شيخا عليه بردة ومعافري وعلى غلامه بردة ومعافري قلت أي عم ما يمنعك أن تعطي غلامك هذه النمرة ، وتأخذ البردة فتكون عليك بردتان ، وعليه نمرة ، فأقبل على أبي فقال ابنك هذا قال نعم قال فمسح على رأسي ، وقال بارك الله فيك أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول (أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون) يا بن أخي ذهاب متاع الدنيا أحب إلي من أن يأخذ من متاع الآخرة⁶⁷

قوله (كُلًّا تُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ..) (20) فأمر الدنيا هين ، ولذلك لا يبالي الله بعطاءه منها ، ولذلك يقول النبي ﷺ (إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب)⁶⁸ ، بينما أمر الآخرة عظيم ، فلا يعطيه الله إلا لمن أحب .

يقول الشعراوي (فرق بين عطاء الربوبية المتمثل في كل نعمة الحياة وبين عطاء الألوهية ، وهو التكليف الذي يقتضي عبداً ومعبوداً ، وافعل ولا تفعل ، عطاء الربوبية عام للجميع ودائم للجميع ، فكان على الإنسان أن يقف مع نفسه وقفة تأمل في هذه النعم التي تُساق إليه دون سعي منه أو مجهود ، هل له قدرة عليها؟ هل تعمل له بأمره ، إنها أوليات النعم التي أجزاها الله تعالى من أجله ، وسخرها بقدرته من أجله ، ألا تدعوه هذه النعم إلى الإيمان بالمنعم سبحانه وتعالى؟ والحق تبارك وتعالى لا يمنع عطاء ربوبيته عمن كفر)

قوله (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) (20) فهو سبحانه يعطي الكافر والمؤمن ، وهذا العطاء هو اختبار للعبد لي شكر أو يكفر ، ولا يمنعه عن الكافر - في دار الابتلاء - لأنه سبحانه رب العالمين ، يقول النبي ﷺ (ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء)⁶⁹ .

قوله (أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) (21) أمر الله بالنظر إلى محل التفضيل في متاع الدنيا ، وكيف أن المفضلين هم أناس فضل الله عليهم غيرهم في بعض الأمور ، فجعلهم مفضولين ومفضلين في ذات الوقت ، ليسخرهم الله بعضهم لبعض ، كما في قوله (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سُخْرِيًا) (الزحرف/32) ، فتفضيل الله يسير بحكمة اقتضاها علمه .

يحضرن في هذا المقام مثال حي حيث ذكر لي أخي وهو جراح مشهور أنه كان في سنة الامتياز يقوم بإجراء خياطة لقطوع وجروح غائرة لمجرمين مصابين في مشاجرات ومدمني مخدرات ، يأتون للمستشفى للعلاج ، وهو بدوره كطبيب - في مرحلة الامتياز - يقوم بإجراء هذه الخياطة لجروحهم وبدون أجر ، رغم أن المريض يتفوه بألفاظ نابية ولا يحترم أحد ، بل هو في عالمه الخاص بسبب الإدمان ، ورغم ذلك فقد جعل الله هذا العالم في الطب يقوم بخدمة هذا المريض السافل في الأخلاق وبدون أجر كذلك ، فسبحان الله الذي جعل بعضهم لبعض سخريا ، فلو علم هذا المدمن أن الذي يقوم بخياطة جرحه هو في المستقبل جراح قلب مشهور يقوم بإجراء العديد من عمليات القلب المفتوح في

⁶⁷ (رواه البخاري في الأدب المفرد ج1 ص 257 رقم 738 وصححه الألباني ج1 ص 267 رقم 276
⁶⁸ (رواه الحاكم ج1 ص 88 رقم 94 وصححه الألباني : السلسلة الصحيحة المجلدات ج6 ص 213 رقم 2714
⁶⁹ (رواه الحاكم ج4 ص 341 رقم 7847 وصححه الألباني : السلسلة الصحيحة ج2 ص 185 رقم 686

مصر وأوروبا لاستشعر فضل الله عليه ورحمته به ، أن سخر له هذا الطبيب ليدأويه ، وكيف أن الله فضله بهذه الخدمة الطبية المتميزة وهو لا يدري (وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (الزخرف32) . .

قوله (وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) (21) أي لا بد للمكلف ألا يهتم بدرجات الدنيا ، ولتكن العبرة بدرجات الآخرة ، يقول سبحانه (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين26)، فالمفاضلة في دار الدنيا ليست هي منتهى آمال المؤمن ، وإنما لا بد وأن يعمل المسلم للمنافسة على درجات الآخرة لينال فيها الدرجات العلى ، يقول النبي ﷺ (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفْجَرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)⁷⁰، فلا بد للعمل لأعلى الدرجات والسعي لذلك .

فالدنيا بالنسبة للآخرة لا شيء ، فعن عمر بن الخطاب قال (دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ فَأَدْنَى إِلَيْهِ إِرَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقُبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ وَمِثْلَهَا قَرَطًا فِي نَاحِيَةِ الْعُرْفَةِ وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ قَالَ فَابْتَدَرْتُ عَيْنَايَ قَالَ مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى وَذَلِكَ قَيْصَرٌ وَكَسْرَى فِي الثَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ فَقَالَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا قُلْتُ بَلَى)⁷¹

وفي رواية عن عمر الخطاب رضي الله عنه قال : استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مشربه و إنه لمضطجع على خصفة و أن بعضه لعلی التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا وأن فوق رأسه لأهاب عطين وفي ناحيه المشربة قرط فسلمت عليه ثم جلست فقلت : يا رسول الله أنت نبي الله وصفوته وخيرته من خلقه وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الحرير والديباج فقال يا عمر إن أولئك قد عجلت لهم طيباتهم و شيكة الانقطاع وإنا قوم قد أخرت لنا طيباتنا في آخرتنا)⁷².

(70) رواه البخاري ج9 ص 354 رقم 2581

(71) رواه مسلم ج7 ص 441 رقم 2704

(72) رواه الحاكم ج4 ص 117 رقم 7072 وصححه الألباني : الجامع الصغير ج1 ص 432 رقم 4317